مفهوم الإيمان عند الإباضية وأثره في الأسماء والأحكام

«دراسة تحليلية مقارنة»

تأليف

د. عصام السيد محمود عبد الرحيم

أستاذ مساعد بكلية الشريعة وأصول الدين

جامعة نجران

ملخص البحث

يتناول هذا البحث بيان حقيقة الإيمان، والآثار المترتبة عليه في الأسماء والأحكام عند الإباضية، حيث تعد فرقة الإباضية إحدى فرق الوعيدية التي غلت في مفهوم الإيمان وما يتعلق به، وقد ترتب على هذا الغلو كثيرٌ من الآثار في الأسماء التي تطلق على أهل القبلة في الدنيا، والأحكام المترتبة على هذه الأسماء في الدنيا والآخرة.

وقد عرف الإباضية الإيمان بأنه قول وعمل واعتقاد، متفقين في ذلك مع المعتزلة وسائر فرق الخوارج، كما يتفقون إجمالا مع مذهب أهل السنة غير أنهم اختلفوا معهم في الآثار المترتبة على هذا المفهوم، حيث وضح البحث اتجاه الفكر الإباضي إلى سلب اسم الإيمان مطلقًا عن مرتكب الكبيرة، وأطلقوا عليه اسم فاسق، أو منافق، أو كافر، ويقصدون به كفر النعمة، كما أدى بهم ذلك إلى إسقاط الآيات الواردة في المنافقين على مرتكب الكبيرة حاكمين عليه بالنفاق الاعتقادي، على الرغم من إقرارهم بأن نفاقه نفاق عملي؛ وترتب على ذلك عندهم حكمهم بخلود مرتكب الكبيرة في النار إن مات عليها، وأوجبوا عقابه مما أدى بهم إلى إنكار الشفاعة لأهل الكبائر في الآخرة، وقصروها على المتقين من المؤمنين الذين أدوا جميع الواجبات، واجتنبوا جميع، المحرمات، وتعلق ما سبق ذكره عندهم بالبراءة من مرتكبي الكبيرة، وأصحاب المعاصي بإيجاب سبهم، ولعنهم، وبغضهم، وعداوتهم.

abstract

The concept of faith of Ibadan and its impact on the terms and judgments.

This research explains the real meaning of faith of ibadan sect and its implications on the terms and sentences ،Terms are meant ،like to be a Muslim ،believer ، non-believer infidel and polytheist ،sentences derived from these terms in this world such as the infallibility(protection)of Muslims'blood ،money ،honor ، loyalty ،hostility ،and related items in the afterlife like promises and warnings ،Ibadhi sect is one of Aloaidyh teams connected to the subject of faith and related topics; As a result of this hyperbole many of the effects on the terms and judgments in this world and the hereafter

ibadhi defined faith as words ،action and belief ،In agreement with the Mu'tazilah and other teams Kharijites ، altogether agree with the doctrine of the Sunnis and they disagreed with the implications of this concept ،the research explained direction of Ibadi thought to negate

faith of the perpetrator of great misdeed at all and named him evildoer ،or a hypocrite ،or a disbelieve ،disbelieve means denying the grace

That led them to apply the verses of the hypocrites to the perpetrator of great sin and consider him believer – hypocrite

We stated in the research that they sentenced the perpetrator of great misdeed to immortality in the fire if he insisted on it and they see the obligatory punishment for him which led to the denial of intercession for the people of sins in the afterlife and they believe that the intercession is only for the pious believers ،the pious believers who performed all the duties ،and shunned all taboos

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وسيد المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا مزيدًا.

أما بعد...

موضوع البحث:

تعد مباحث الإيمان من أهم المباحث التي وقع فيها الاختلاف والتنازع في الأمة؛ وذلك لما يترتب عليها من أسماء وأحكام، وما وقع فيها من غلو وجفاء قديمًا وحديثًا.

يقول الإمام ابن رجب - رحمه الله - مبينًا أهمية هذه المسائل: وَهَذِهِ الْمَسَائِلُ - أَعْنِي مَسَائِلَ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ وَالْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ - مَسَائِلُ عَظِيمَةٌ جِدًّا، فَإِنَّ اللهَ عَلَّقَ بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ السَّعَادَةَ وَالشَّقَاوَةَ، وَاسْتِحْقَاقَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَالِاخْتِلَافُ فِي مُسَمَّيَاتِهَا أَوَّلُ اخْتِلَافٍ وَقَعَ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَهُوَ خِلَافُ الْخَوَارِجِ لِلصَّحَابَةِ، حَيْثُ أَخْرَجُوا عُصَاةَ الْمُوَحِّدِينَ مِنَ الْإِسْلَامِ بِالْكُلِّيَّةِ، وَأَدْخَلُوهُمْ فِي دَائِرَةِ الْكُفْرِ، وَعَامَلُوهُمْ مُعَامَلَةَ الْكُفَّارِ، وَاسْتَحَلُّوا بِذَلِكَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالَهُمْ(١).

وقد كان انحراف الخوارج في فهم حقيقة الإيمان أول خلل اعتقادي يظهر في صفوف الأمة، ولا تزال آثار انحرافاتهم في تلك القضية تؤثر في كتابات وأفعال كثير من المنتسبين إلي الإسلام.

(١) جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي ص: ١١٤.

وهذا البحث يتناول بيان حقيقة الإيمان، والآثار المترتبة عليه في الأسماء والأحكام عند طائفة ينسبها كثير من العلماء قديمًا وحديثًا إلى الخوارج، وهم الإباضية، والمراد بالأسماء مثل المسلم والمؤمن والفاسق والكافر والمشرك، والمراد بالأحكام الأحكام المترتبة على هذه الأسماء في الدنيا مثل عصمة دمه، وماله، وعرضه، والموالاة، أو المعاداة، وما يتعلق بها في الآخرة من الوعد والوعيد.

أهمية موضوع البحث:

تنبع أهمية موضوع البحث من تناوله لمبحث من أهم المباحث العقدية عند فرقة الإباضية، تلك الفرقة التي ينسبها كثيرٌ من الكتَّاب في الملل والنحل والفرق قديمًا وحديثًا إلى الخوارج، في الوقت الذي ينفي المعاصرون منهم نسبتهم إلى الخوارج، ويقصرون اسم الخوارج على الغلاة منهم كالأزارقة الذين كفروا مخالفيهم واستحلوا دماءهم وأموالهم.

وعلى الرغم من ضياع كثير من مؤلفات فرق الخوارج التي ذكرها المؤرخون والمؤلفون في الملل والنحل المعبرة عن حقيقة مذهبهم، فقد استطاع الإباضية الحفاظ على كثير من مصنفات أئمتهم، وقد اهتمت وزارة الثقافة والتراث القومي بسلطنة عمان بجمع هذه المصنفات والعناية بنشرها، ومن ثم تبرز أهمية دراسة هذه الكتب للوقوف على حقيقة مذهب الإباضية، وعلاقتهم بالخوارج، وموقعهم

بين الفرق الإسلامية، خاصة في قضية الإيمان، تلك القضية المحورية التي تميزت بها الخوارج عن غيرها من الفرق الإسلامية.

إن الفهم الصحيح لمفهوم الإيمان، وما يترتب عليه من أسماء وأحكام في الدنيا والآخرة له أثر كبير على واقع المسلمين ومستقبلهم، وقد عانت الأمة كثيرًا، وما زالت تعاني من انتشار الأفكار المنحرفة عن الفهم الصحيح لمفهوم الإيمان، وما نشأ عن ذلك من بروز النظرة التكفيرية والاقصائية لدى فريق من المنتسبين للإسلام.

أسباب اختيار الموضوع: وقد دفعني لاختيار هذا الموضوع الأسباب التالية:

١- إن الإباضية من الطوائف التي لها وجود في عصرنا الحاضر، ولها أتباع ودولة تتبنى مذهبها، وقد اهتمت في الآونة الأخيرة بتحقيق كتبها ونشرها على نطاق واسع.

٢- الوقوف على حقيقة نسبة الإباضية إلى الخوارج من خلال دراسة موقفهم من قضايا الإيمان والآثار المترتبة عليه.

٣- خطورة الأسماء التي تطلق على الناس مثل مؤمن، ومسلم، وفاسق، وكافر، والأحكام التي تترتب على هذه الأسماء في الدنيا والآخرة.

٤- ما تعاني منه كثيرٌ من البلاد الإسلامية من الأفكار المنحرفة في فهم قضايا الإيمان، وما يترتب على ذلك من تكفير المسلمين والعنف

مع المخالفين، هذا الذي يرجعه كثيرٌ من المفكرين إلى فكر الخوارج، ويعدون الإباضية فرقة من فرقهم.

٥- البحث في الجذور التاريخية للتكفير، والأدلة التي استدل بها أصحابه، وعلاقة الإباضية بذلك.

٦- قلة الدراسات العقدية المقارنة في المذهب الإباضي على الرغم من كثرة مؤلفاته وإمكانية الحصول عليها.

أهـداف البحـث:

يهدف البحث إلى هدف رئيس، وهو بيان حقيقة الإيمان عند الإباضية، والآثار المترتبة على ذلك في الأسماء، والأحكام المرتبطة بهذه الأسماء في الدنيا والآخرة.

كما يهدف البحث إلى أهداف فرعية هي:

١- الوقوف على نسبة الإباضية وعلاقتها بالخوارج.

٢- بيان الأصول العقدية للإباضية.

٣- المقارنة بين الإباضية وغيرهم من الفرق الإسلامية في مفهوم الإيمان والآثار المترتبة عليه.

٤- وضع الإباضية في مكانها الصحيح بين الفرق الإسلامية، وبيان مظاهر التأثير والتأثر.

الدراسات السابقة:

لم أجد - حسب علمي- من أفرد موضوع الدراسة بالبحث، وما

كتب في ذلك جاء في إطار دراسات عامة عن فكر الخوارج أو فكر الإباضية تناولت بعض جوانب الموضوع مقتضبًا في ثنايا البحث، لم تهتم كثيرًا بالمقارنة، ولم تستوعب القضية من جميع جوانبها.

o ومن تلك المؤلفات:

١- دراسات عن الإباضية للدكتور عمرو خليفة النامي.

وهي دراسةٌ أكاديميةٌ لباحث ليبي، تقدم بها لنيل درجة الدكتوراه من جامعة كمبردج باللغة الإنجليزية ١٩٧١م. وقد تعرض فيها للحديث عن نشأة الإباضية، وعلاقتها بالخوارج، وأشهر علمائها ومؤسسيها، ثم عرض لأهم مصادر الفقه الإباضي، ثم تناول علم الكلام الإباضي، وتحدث بإجمال عن عقيدة الإباضية، وعن الولاء والبراء عندهم، وفي ثنايا ذلك ألحق بكتابه نص كتاب" أصول الديانات" للشماخي.

ويبدو من العرض السابق أنَّ الرسالة أقرب إلى التعريف العام بالمذهب الإباضي ومصادره، وليست دراسة عقدية متخصصة.

٢- مدخل إلى دراسة الإباضية وعقيدتها، بحث مقارن في اللاهوت الإباضي في بلاد المغرب وعمان، للباحث بيير كوبرلي، ترجمة عمار الجلاصي.

وقد اشتملت هذه الدراسة على جزأين، اقتصر الجزء الأول على الحديث عن مصادر العقيدة الإباضية، والتعريف ببعض المؤلفات فيها، مثل كتاب "أصول الدين" لتبغورين، وكتاب "التوحيد" للجيطالي؛

وجاء الجزء الثاني بعنوان قضايا كلامية، حيث تناول بعض القضايا الكلامية عند الإباضية، فناقش مسألة خلق القرآن، ورؤية الله، والقدر، والإمامة؛ ولم يتعرض البحث للحديث عن قضية الإيمان، وآثارها عند الإباضية.

٣- الإباضية تاريخ ومنهج ومبادئ، لزكريا بن خليفة المحرومي.

وقد تعرض المؤلف - وهو إباضي المذهب - للحديث عن نشأة الإباضية وأهم مبادئها العقدية، ومنها خلود صاحب الكبيرة في النار، ووجوب البراءة منه، واكتفى الكاتب بتقرير مذهب الإباضية، ولم يتعرض للمقارنة بغيرهم.

٤- الإباضية عقيدة ومذهب، د. صابر طعيمة.

وقد تعرضت الدراسة لبيان الأصول التاريخية للمذهب الإباضي، وعلاقة الإباضية بالخوارج، ثم تناول الباحث أهم فرق الإباضية عند كتاب الفرق والمقالات، ثم عرض بإجمال لموقف الإباضية من قضايا الاعتقاد ومنها قضية الإيمان، ولم يهتم الكتاب بمقارنة مذهبهم بغيره من المذاهب.

٥- الحق الدامغ، لمفتي عمان الشيخ أحمد الخليلي.

وقد اشتمل الكتاب على ثلاثة مباحث هي رؤية الله، وخلق القرآن، وخلود أهل الكبائر في النار، وقد تعرض المؤلف في المبحث الثالث للحديث عن خلود أصحاب الكبائر في النار، إلا إنه اقتصر على تقرير

مذهب الإباضية، وتقديم الأدلة من القرآن والسنة على صحة مذهبهم. وقد تعرض الأستاذ الدكتور علي بن محمد ناصر الفقيهي للرد على ما جاء في هذا الكتاب في مؤلف قيم سماه "الرد القويم البالغ على كتاب الخليل المسمى الحق الدامغ".

٦- الخوارج، الإباضية، الشيعة للأستاذ الدكتور عامر النجار.

تعرض المؤلف في الجزء الثاني من الكتاب للحديث بإجمال عن نشأة الإباضية، وعلاقتها بالخوارج، وأهم فرق الإباضية حسب ما ذكره كتاب المقالات، ثم عرض لأهم الآراء العقدية للإباضية، وذكر منها زيادة الإيمان ونقصانه، وموقفهم من مرتكب الكبيرة، وجاء الحديث عنها مقتضبًا.

٧- الخوارج تاريخهم، وآراؤهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها، د. غالب علي عواجي.

والكتاب في أصله رسالة تقدم بها الباحث لنيل درجة الماجستير من كلية الشريعة بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة، قد تعرض في ثنايا بحثه للحديث عن مذهب الإباضية باعتبارها إحدى فرق الخوارج، لكنه لم يفرد الموضوع ببحث، وإنما جاء عرضًا عند حديثه عن عقيدة الإباضية.

٨- الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام، د. ناصر بن عبد الكريم العقل.

وفي هذه الدراسة تعرض المؤلف بإجمال للحديث عن نشأة الإباضية، ثم عرض بإجمال لمعتقدات الإباضية، ولم يفرد موضوعنا بالبحث.

ومن خلال العرض السابق يتبين لنا أن موضوع البحث لم يسبق دراسته من قبل.

خطة البحث:

تم تقسيم هذا البحث إلى مقدمة تحدثت فيها عن أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة ومنهجية البحث، ثم التمهيد، وفيه: التعريف بالإباضية وأصولهم.

ثم تم تقسيم البحث إلى مبحثين، وعدة مطالب، وهما كالآتي:

المبحث الأول: حقيقة الإيمان عند الإباضية

وقسمته إلى مطلبين:

المطلب الأول: عرفت فيه بالإيمان عند الإباضية.

المطلب الثاني: تحدثت عن موقف الإباضية من زيادة الإيمان ونقصانه.

المبحث الثاني: الآثار المترتبة على تعريف الإيمان عند الإباضية.

وقسمته إلى أربعة مطالب:

المطلب الأول: تناولت موقف الإباضية من مرتكب الكبيرة.

المطلب الثاني: بينت مذهب الإباضية في الوعد والوعيد، وأثر

مفهوم الإيمان فيه.

المطلب الثالث: تناولت مذهب الإباضية في الشفاعة في الآخرة.

المطلب الرابع: تحدثت عن مفهوم الولاء والبراء عند الإباضية باعتباره ثمرة من ثمرات مفهوم الإيمان.

ثم تناولت الخاتمة ملخص البحث، وأهم النتائج والتوصيات.

منهج الدراسة:

اقتضت طبيعة البحث استخدام منهجًا يجمع بين المنهج الوصفي والتحليلي والمقارن، من خلال الخطوات التالية:

١- عرض أقوال المذهب الإباضي في المسألة.

٢- تحليل هذه الأقوال ومناقشتها.

٣- مقارنة المذهب الإباضي بغيره من المذاهب الإسلامية.

واقتصرت على أصول المذاهب، مذهب المعتزلة والأشاعرة، وأهل السنة والجماعة.

مصادر البحث:

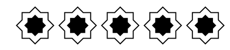
أما المصادر التي اعتمدت عليها في البحث، فلأن البحث متعلق بالعقيدة الإباضية فقد استقيت كل ما يتعلق بالعقيدة الإباضية من المصادر الأصلية للإباضية أنفسهم، ولم أعتمد في نقل مذهبهم على كتب الملل

والنحل والمقالات، أو كتب العقائد، أو الدراسات النقدية

للمذهب الإباضي، ومادامت المصادر والمراجع الأصلية للمذهب موجودة، فإن أمانة البحث تُلزم الباحث بالرجوع إلى تلك المصادر، ولم أدخر وسعًا في تحصيل تلك الكتب حتى تحصل لي قدر كبير منها، واقتصرت في ثنايا البحث على ذكر المصدر الذي استقيت منه ومؤلفه، ثم ذكرت هذه المصادر مفصلة في نهاية البحث. كما لم أغفل الاطلاع على الدراسات السابقة، والكتابات المعاصرة التي تعرضت لدراسة العقيدة الإباضية، وذكرت طرفًا منها آنفًا.

وفي سبيل المقارنة بين مذهب الإباضية وغيره من المذاهب الإسلامية، فقد رجعت أيضًا إلى المصادر الأصلية لهذه المذاهب.

وأخيرا أسألُ الله عز وجل أن أكون وفقتُ فيما قصدت، وأن تكونَ هذه الدراسة بداية لدراسات أخرى عقدية مقارنة في الفكر الإباضي.



التمهيد

التعريف بالإباضية وأصولهم العقدية

١- نشأة الإباضية:

كانت البدايات الفكرية للإباضية بالبصرة في سنة ٦٥هـ، على أثر انقسام المُحَكِّمة[1] وكان هؤلاء يتزعمهم في البداية أبو بلال مرداس بن حدير التميمي، وهو واحد من بين الخوارج القلائل الذين نجوا في معركة النهروان سنة ٣٨ه، وفر على إثرها إلى البصرة حيث كانت تقيم قبيلته بنو تميم، حيث تجمع حوله بعض الأتباع، ولم يلبث أن خرج على رأس حوالي أربعين من أصحابه معلنًا الثورة على الأمويين في سنة ٥٨ه، ولكنهم جميعا لقوا مصرعهم في هذا العام[2].

---

(١) وهو الاصطلاح الذي أطلقه العلماء على أولئك الذين رفضوا قبول التحكيم بين علي ومعاوية بعد واقعة صفين، وقد كفروا عليا والحكمين ومن قبل بالتحكيم و رضي به، وخرجوا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقاتلهم يوم النهروان. انظر التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع للملطي، ص: ٤٧، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية لعبد القاهر البغدادي، ص: ٧٤- ٨١، الملل والنحل، الشهرستاني (١/ ١٠٧) البداية والنهاية، ابن كثير (٧/ ٣٠٨)، الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام، د. ناصر العقل ص٢٢.

(٢) انظر: نشاة الحركة الإباضية في البصرة ومناقشة دعوى تأسيس جابر بن زيد وعلاقتها بالخوارج، د.محمد عبد الفتاح عليان ص: ٢، وانظر: الأصول التاريخية للفرقة الإباضية، عوض خليفات ص(٤ -٨)، تاريخ خليفة بن خياط ص: ٢٥٦، طبقات المشايخ، للدرجيني (٢/ ٢١٨).

وقد نشط أتباع أبي بلال من المُحَكِّمة، وكثر عددهم بعد موته، لدرجة أنَّ جمعًا منهم توجه إلى مكة في سنة ٦٣هـ؛ لمؤازرة عبد الله بن الزبير ضد الأمويين، وكان عبد الله وقتئذ عائذًا بالبيت، ويحاصره جيش أموي بقيادة مسلم بن نمير السكوني. وكان على رأس هذا الجمع نافع بن الأزرق، ونجدة بن عامر الحنفي، وعبد الله بن إباض، وعبد الله بن صفار، وأبو بيهس الضبعي وغيرهم، لكن هؤلاء اختلفوا مع ابن الزبير وعادوا إلى البصرة[1]، ولم يلبثوا أن اختلفوا مع بعضهم البعض، فانقسموا في سنة ٦٥هـ إلى أربع فرق هي: الأزارقة، والنجدات، والإباضية، والصفرية[2].

وكان سبب الخلاف بينهم مع اتفاقهم على البراءة من عثمان وعلي وتولي قَتَلتهم هو حكم المسلمين المخالفين لهم في المذهب، وحكم ديارهم ودمائهم وأموالهم ومناكحتهم، ومواريثهم. وحكم القعدة - وهم الموافقون للخوارج في الاعتقاد لكنهم قعدوا عن جهاد

(١) وكان سبب خلافهم مع ابن الزبير رفضه التبرؤ من عثمان وعليّ، انظر: تاريخ الرسل والملوك، الطبري (٥/ ٥٦٤ - ٥٦٦) البداية والنهاية، ابن كثير (٨/ ٢٦٣)، تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون (٣/ ١٨٢).

(٢) نشأة الحركة الإباضية في البصرة ومناقشة دعوى تأسيس جابر بن زيد وعلاقتها بالخوارج د. محمد عبد الفتاح عليان ص: ٢. وانظر: الخوارج والحقيقة الغائبة ناصر بن سليمان بن سعيد السابعي ص: ١٧٢، مقالات الإسلاميين، أبو الحسن الأشعري (١/ ١٦٩)، حركة الخوارج، نشأتها وتطورها، لطيفة البكاي ص: ٩٣ وما بعدها.

المخالفين- وكان أشدهم في ذلك الأزارقة المنسوبين إلى نافع بن الأزرق، وتفرقت مقالات الخوارج إلى الفرق الأربعة المذكورة آنفًا، ثم تفرعت عنها فرق أخرى، اختلف المؤلفون في الملل والنحل في ذكر مقالاتهم[(١)]، غير أنه لم يصلنا شيء من كتبهم، نضبط به مقالاتهم وصحة ما نسب إليهم، سوى الإباضية الذين قامت لهم دولة، وصارت لهم كتابات تعبر عن مذهبهم[(٢)].

٢- صلة الإباضية بالخوارج:

على الرغم من وضوح الجذور التاريخية للإباضية، وأنها إحدى فرق الخوارج الرئيسية، إلا أن الكُتَّاب الإباضيين المُحْدَثين ينكرون صلة الإباضية بالخوارج، لدرجة أنهم يتهمون كل من يصنفهم ضمن

---

(١) انظر مقالاتهم في الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١١٤ -١٣٨)، مقالات الإسلاميين، الأشعري (١٥٦-٢١٥)، التبصير في الدين، الاسفرائيني ص: ٥٨. الفصل في الملل والنحل، ابن حزم (٣/ ١٠٧-١١٠)، الدليل لأصحاب العقول، الورجلاني ص: ١/ ١٥، وعن تاريخهم انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير (٣/ ٢٥٥) المعارف، ابن قتيبة ص: (٦٢٢)، آثار البلاد وأخبار العباد، القزويني (٥٦)، البداية والنهاية: ابن كثير (٨/ ٢٦٣) الكامل، المبرد (٢/ ٢٠١)، العقد الفريد، ابن عبد ربه (١/ ١٨٦)،

(٢) وينتشر الإباضية في سلطنة عمان، وساحل أفريقيا الشرقي في كل من تنزانيا ورواندا وأوغندا وفي الشمال الأفريقي في جبل نفوسة، وجزيرة جربة بتونس، ووداي ميزاب بالجزائر انظر الإباضية: تاريخ ومنهج ص: ١٠، مقالات الإسلاميين، الأشعري (١/ ٢٠٧)، البرهان، السكسكي ص١٨، ١٩.

الخوارج بالتعصب والافتراء والجهل[1]، ويقولون: إن اسم الخوارج يجب ألا يطلق إلا على أولئك الذين لم يقصروا عنفهم على الحكام الظالمين، بل امتد إلى الرعية، واستعرضوا الناس، وسفكوا دماءهم بغير حق، وهذا ينطبق على الأزارقة، والنجدات، وغيرهم من غلاة الخوارج. أما الإباضية فيرون أنهم لا تنطبق عليهم الاعتبارات التي أدت إلى إطلاق اسم الخوارج على هؤلاء الغلاة[2].

مع العلم أن المتقدمين من الإباضية لا ينكرون صلتهم بالخوارج، وهو ما تؤيده الأدلة التالية:

أولا: ما ورد في كتاب عبد الله بن إباض إلى الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، وفي هذا الكتاب يشيد ابن إباض بالخوارج، ويعتز بالانتماء إليهم فيقول: "هذا خبر الخوارج، شهد الله والملائكة أنا لمن عاداهم أعداؤنا، ولمن والاهم أولياؤنا، بألسنتنا وأيدينا وقلوبنا، نعيش

(١) انظر: الإباضية بين الفرق الإسلامية، علي بن معمر ١٨٦- ١٩٥، الإباضية في موكب التاريخ له ص: ٣٤، ٣٥، الخوارج، الإباضية، الشيعة، د. عامر النجار ص: ١٨٨، أصدق المناهج في تمييز الإباضية، سالم بن حمود السيابي من الخوارج ص: ٢٠. العقود الفضية في أصول الإباضية، سالم بن حمد الحارثي ص: ١٢١، ١٢٢. أضواء على المقولة القائلة بأن الإباضية خوارج، عوشت بكير، البعد الحضاري للعقيدة الإباضية، فرحات الجعبيري ص: ٢٧.

(٢) انظر: بهجة الأنوار، السالمي (١/ ١٧٩)، الإباضية في موكب التاريخ" النشأة"، علي يحيى معمر ص: ٣٣-٣٥.

على ذلك ما عشنا، ونموت عليه إذا متنا، ونبعث عليه عند ربنا"[1].

ثانيًا: إن الإباضية قاطبة يعدون أهل النهروان الذين قاتلهم علي بن أبي طالب سلفًا لهم[2]، ويتولون قتلة عثمان وأهل النهروان ويتبرؤن من عثمان بن عفان، وعلي ابن أبي طالب، وطلحة، والزبير، ومعاوية، وكل من رضي بالتحكيم، ويعدون ذلك من أصولهم الاعتقادية، ويرمون من لم يتول أهل النهروان ويتبرأ من عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب بالكفر والنفاق[3].

ثالثا: إن افتراق الإباضية عن بقية فرق الخوارج كان في مسائل قليلة، وبقيت سائر أصولهم هي أصول الخوارج، فهم يمثلون فرق من

---

(١) وهذه الرسالة مشهورة عند مؤرخي الإباضية وعلمائهم لم ينكر أحد منهم نسبتها إلى ابن إباض وقد ذكرها غير واحد منهم من القدامى والمحدثين وقد ذكرت في السير والجوابات لعلماء وأئمة عمان (٢/ ٣٢٥-٣٤٥)، الجواهر المنتقاة، البرادي ص: ١٥٦-١٦٢، و إزالة الوعثاء عن أتباع أبي الشعثاء، سالم حمود السيابي ٨٦-١٠١، مختصر تاريخ الإباضية، سليمان الباروني الإباضي ص٢١ وما بعدها العقود الفضية في أصول الإباضية، سالم بن حمد الحارثي ص: ١٣٤، منهج الدعوة عند الإباضية، د. محمد صالح ناصر ٣٢٤ -٣٣٧.

(٢) انظر الجوهر المقتصد: أبو بكر الكندي النزوي ص١٣٦، المدخل إلى الفقه الإباضي، إسماعيل صالح الأغبري ص٥

(٣) انظر: النور الوقاد على علم الرشاد، محمد بن سالم ين جمعه الرقيشي ص٤٠، العقود الفضية في أصول الإباضية، سالم الحارثي ص٤٩، العدل والإنصاف، الورجلاني ص٨٠-٨١، الجواهر المنقاة، البرادي ص٩٦-٩٧، السير والجوابات، تحقيق سيدة كاشف، (١/ ٣٧، ١٠٠)

الخوارج القعدة الذين قعدوا عن الخروج مع نافع ابن الأزرق، ورفضوا ما فعله ابن الأزرق من استعراض المسلمين واستباحة دماءهم، وهي نقطة الخلاف الجوهرية بينهم وبين غلاة الخوارج، وما عداه من الأصول يتفقون فيها مع بقية فرق الخوارج(١).

رابعًا: اتفقت الإباضية مع سائر فرق الخوارج في القول بخلود أصحاب الكبائر في النار إن ماتوا من غير توبة منها.

خامسًا: اتفقت الإباضية مع سائر فرق الخوارج في تأويل الصفات الإلهية، والقول بخلق القرآن، وإنكار الشفاعة في الآخرة.

سادسا: إن المصنفين في الملل والنحل قديما وحديثًا قد أدرجوا الإباضية ضمن فرق الخوارج(٢).

وعلى الرغم من استنكار الإباضية ما قام به الأزارقة والنجدات وغيرهم من غلاة الخوارج من تكفير وقتل للمسلمين واستحلال دمائهم إلا أننا - على حد قول الدكتور عبد الفتاح عليان - لا نشك في

(١) انظر: الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام، ناصر العقل ص: ٦٦.

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين، الأشعري (١/ ١٧٠)، التبصير في الدين، الاسفرائيني ص: ٤٥، الملل والنحل، الشهرستاني (١/ ١٣١)، البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان، للسكسكي ص٢٢، ومن المعاصرين: نشأة الحركة الإباضية في البصرة، أ. د. عبد الفتاح عليان ص: ١٠، الخوارج، ناصر العقل ص: ٥٨، الخوارج في بلاد المغرب، د. محمود إسماعيل عبد الرازق ص: ٨٢، الخوارج تاريخهم، وآراؤهم الاعتقادية، د. غالب علي عواجي ص: ١٧٥.

أن الإباضية، وكل فرق الخوارج هم في الأصل جماعة واحدة، أعلنوا الثورة على عثمان بن عفان، وتبرؤوا منه، ثم استباحوا دمه، لأنه في اعتبارهم من الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى، ثم خرج هؤلاء على علي بن أبي طالب بعد أن كانوا ضمن جنده، وذلك لما قرر المضي في إجراءات التحكيم، ووافق على كتابة اسمه في وثيقة التحكيم مجردا من لقب أمير المؤمنين، فاختاروا لهم إمامًا غيره هو عبد الله بن وهب الراسبي، ولم يلبثوا أن التقوا مع جيش علي وحاربوه، في معركة النهروان سنة ٣٨هـ، ويعتبر الإباضية -وكل فرق الخوارج- هذه الجماعة من أسلافهم، ويصفون رجالها بأنهم خير من على وجه الأرض[(١)].

٣- نسبة الإباضية:

سميت الإباضية بهذا الاسم نسبة إلى عبد الله بن إباض[(٢)]، وهو ما اتفق عليه المؤرخون والمصنفون في الملل والنحل، وهي الحقيقة التي يدل عليها تسميتهم التي اشتهروا بها. وتؤيدها الروايات التاريخية التي

(١) نشأة الحركة الإباضية في البصرة، أ. د. عبد الفتاح عليان ص: ١٠ بتصرف، وانظر: شرح أصول الديانات، عمر التلاتي، ص: ٩٣.

(٢) هو عبد الله بن إباض المقاعسي التميمي من بني مرة، لا يعلم تاريخ مولده، لكن قيل أنه أدرك عبد الملك بن مروان المتوفى سنة ٨٦ه، وكان بينهما مراسلات. انظر طبقات المشايخ للدرجيني (٢/ ٢١٤)، السير، الشماخي (١/ ٧٢)، ، الأعلام، الزركلي (٤/ ٦١).

ذكرت الانقسام الذي حدث بين المحكمة. فضلا عن كتاب السير والتراجم من الإباضيين أنفسهم، والذين يعدون ابن إباض مقدم الطائفة وإمامهم[1].

وقد نسب كثيرٌ من الإباضية فرقتهم إلى جابر بن زيد[2] وذلك للأسباب التالية:

أولًا: ارتباط اسم عبد الله بن إباض بحركة الخوارج، والصورة السلبية التي تشكلت في المجتمعات الإسلامية عن الخوارج.

(١) انظر: كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة، سرحان بن سعيد الأزكوي: (٢/ ٦٩٧)، مختصر تاريخ الإباضية، سليمان الباروني ص٢١، طبقات المشايخ، للدرجيني (٢/ ٢١٤). الجواهر المنتقاة، البرادي ص: ١٥٥، وقد وصف ابن إباض بقوله: رأس العقد إمام القوم الذي استحق أن يعقد التاج على رأسه، الملل والنحل، الشهرستاني (١/ ١٣٤، ١٣٥)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، الرازي ص: ٥١، الكامل في التاريخ، ابن الأثير (٣/ ٢٥٥)، المعارف، ابن قتيبة ص: (١/ ٦٢٢)، آثار البلاد وأخبار العباد، القزويني (٥٦)، البداية والنهاية، ابن كثير (٨/ ٢٦٣)، العقد الفريد، ابن عبد ربه (١/ ١٨٦)، التبصير في الدين الاسفرائيني ص: ٥٨، الفرق بين الفرق، البغدادي ص: ٨٢، البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان للسكسكي ص: ٢٢.

(٢) هو الإمام الفقيه المحدث أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي العماني مولدا، البصري إقامة، قضى أغلب حياته بالبصرة وتوفي بها سنة ٩٣ه وقيل سنة ١٠٣ه، وقيل سنة ١٠٤ه، وقد كثر الثناء عليه من معاصريه ومن بعدهم، قال عنه ابن عباس: لو أن، أهل البصرة، نزلوا على قول جابر بن زيد لأوسعهم علمًا عما في كتاب الله، وقد أخرج حديثه البخاري ومسلم في صحيحيهما، وأحمد وأصحاب السنن (انظر طبقات خليفة بن خياط ص: ٢١٠، تذكرة الحفاظ، الذهبي (١/ ٧٢)، تهذيب الكمال، المزي (٤/ ٤٣٤)، الحلية، أبو نعيم (٢/ ٥٨).

ثانيًا: إن جابرًا كان من فقهاء البصرة ذائعي الصيت، لتمتعه بمكانة علمية مرموقة، وسمعة طيبة بين معاصريه.

ثالثًا: إنه كان لا يتردد في استنكار ما قد يراه من مظالم الولاة الأمويين، وخاصة الحجاج بن يوسف الثقفي الذي سجن جابرا ونفاه.

رابعًا: إن جابرا كان من الأزد الذين اعتنق عدد كبير منهم المذهب الإباضي(١).

لكن المصادر التاريخية لا تشير إلى أي دور لجابر بن زيد في حركة الخوارج، في الوقت الذي يرد في بعضها أنه كان يتبرأ مما يشيعه الإباضية من أنه منهم(٢).

---

(١) نشأة الحركة الإباضية في البصرة، أ. د. عبد الفتاح عليان ص: ١١، الأصول التاريخية للفرقة الإباضية، عوض خليفات ص: (٩-١٢)، الإباضية تاريخ ومنهج ومبادئ زكريا بن خليفة المحرمي (ص٦-١٠)، الإمامة الإباضية في عمان د. فاروق عمر فوزي ص: ٢٧.

(٢) ذكر ابن سعد في الطبقات الكبرى عن قتادة عن عزرة الكوفي قال: قلت لجابر بن زيد إن الإباضية يزعمون أنك منهم قال: "أبرأ إلى الله منهم". وروى عن ثابت البناني: قال دخلت على جابر بن زيد وقد ثقل. قال فقلت له: ما تشتهي؟ قال نظرة إلى الحسن. قال فأتيت الحسن وهو في منزل أبي خليفة فذكرت ذلك له، فقال: اخرج بنا إليه، فانطلقنا حتى دخلنا عليه، فقال له الحسن: يا أبا الشعثاء قل لا إله إلا الله، فقال: يوم يأتي بعض آيات ربك، قال فتلا هذه الآية: قال فقال له الحسن: إن الإباضية تتولاك قال فقال أبرأ إلى الله منهم، قال فما تقول في أهل النهر؟ قال فقال أبرأ إلى الله منهم، ثم خرجنا من عنده " الطبقات الكبرى، ابن سعد (٧/ ١٣٤، ١٣٥).

وقال البخاري في التاريخ الكبير: وقال لنا علي(ابن المديني) حدثنا سفيان (ابن عيينة) قلت =

وقد ذكر الشماخي والرقيشي، وهما مؤرخان إباضيان أن أبا بلال مرداس وعبد الله بن إباض وغيرهما كانوا لا يصدرون في أمرهم إلا عن رأي جابر، وأن أصحابه كانوا يسترونه عن الحرب مخافة أن يوقع به الأعداء[1]، إلا أن المؤرخين المذكورين لم يشيرا إلى مصدرهما في هذا

= لعمرو (بن دينار) سمعت من أبي الشعثاء من أمر الإباضية أو شيئا مما يقولون؟ فقال: ما سمعت منه شيئا قط، وما رأيت أحد أعلم بالفتيا من جابر: التاريخ الكبير البخاري (٢/ ٢٠٤).

وقال ابن حبان في الثقات: "جابر بن زيد أبو الشعثاء، وكانت الإباضية تنتحله، وهو يتبرأ من ذلك، يروي عن ابن عباس وابن عمر وكان من أعلم الناس بكتاب الله وكان ابن عباس يقول لو أن أهل البصرة نزلوا عند قول جابر بن زيد لأوسعهم علما عما في كتاب الله: الثقات، ابن حبان (٤/ ١٠١).

وروى أبو نعيم في حلية الأولياء عن هند بنت المهلب وذكروا عندها جابر بن زيد، فقالوا إنه كان إباضيا، فقالت كان جابر أشد الناس انقطاعا إلى وإلى أمي، فما أعلم شيئا كان يقربني إلى الله إلا أمرني به، ولا شيئا يباعدني عن الله عز وجل إلا نهاني عنه، وما دعاني إلى الإباضية قط ولا أمرني بها: حلية الأولياء، أبو نعيم (٣/ ٨٩)، تاريخ دمشق، ابن عساكر (٧٠/ ١٩١). البداية والنهاية، ابن كثير (٩/ ١١٢)

وقال الميموني حدثنا أحمد بن حنبل قال حدثنا عبد الرزاق عن معمر قال ذكرت لعمرو بن دينار أبا الشعثاء وما تنتحله الإباضية فقال: ما سمعت منه في هذا شيئا قط. انظر: العلل ومعرفة الرجال للإمام أحمد رواية الميموني (١/ ١٥٤) وانظر: الأنساب، السمعاني (٤/ ١٣٠).

(١) السير، الشماخي (١/ ٧٧)، الأصول التاريخية للفرقة الإباضية، عوض خليفات ص: ١١، مختصر تاريخ الإباضية، سليمان الباروني الإباضي ص: ٢١ وما بعدها.

الصدد على غير عادتهما بالنسبة لما يذكرانه من أخبار، خاصة وأنهما كانا يعيشان في القرن العاشر الهجري، في حين عاش جابر في القرن الأول.

كما أنه لو صح أن جابرًا كان يقود محكمة البصرة في حياة أبي بلال، وأنه كان يتخفى لئلا يبطش به الأمويون وقتئذ، فإنه كان المفروض أن يظهر على حقيقته لما اضطربت أحوال الأمويين عقب موت يزيد بن معاوية سنة ٦٤هـ. ذلك الاضطراب الذي مكن الخوارج من تحدي والي البصرة عبيد بن زياد وكسر أبواب سجنه الذي خرج منه زهاء أربعمائة منهم، ومشوا في الناس بالدعاية ضد الوالي المذكور حتى أرغموه على الفرار إلى بلاد الشام، وفي هذه الظروف ظهر نافع بن الأزرق كأبرز زعيم للخوارج، ونهج مسلكا خالفه فيه بعض زعمائهم الآخرين، ومنهم عبد الله بن إباض، مما أدى إلى ظهور فرق الخوارج الأربع الرئيسية المشار إليها- ومنها الإباضية، ولو كان لجابر بن زيد أي دور قيادي لمحكمة البصرة لظهر للعيان في مثل هذه الظروف التي لم يكن يخشى عليه في أثنائها من أحد، ولكن المصادر لا تشير إلى أي دور له حينذاك على الإطلاق(١).

ويرى أحدُ الباحثين الإباضيين أن جابر بن زيد كان يقود الحركة الإباضية في وجود عبد الله بن إباض، إلا أنه بسبب قدرة عبد الله بن

(١) نشاة الحركة الإباضية في البصرة، أ. د. محمد عبد الفتاح عليان ص: ٦.

إباض على الجدل والمناظرة تلك القدرة التي برزت في مناظرته لمتطرفي الخوارج كالأزارقة، ولانتمائه إلى قبيلة تميم إحدى أهم قبائل البصرة، ظن الناس أن ابن إباض هو مؤسس الحركة الإباضية في حين أن جابر بن زيد هو المؤسس الحقيقي لها(١).

على أن مخالفة الإباضية للخوارج المتطرفين في الرأي والتنديد بهم لا يحتاج إلى شخص تحميه قبيلة قوية من بطش الولاة الأمويين؛ لأن هؤلاء لا يعقل أن يتعرضوا بأي أذى لمن يقوم بهذا التنديد، بل على العكس يكون في أمان من أذاهم، كما إن القول بأن ابن إباض كان في منعة من قومه بني تميم غير صحيح، لأن ولاة الأمويين من أمثال زياد بن أبيه وابنه عبيد الله والحجاج بن يوسف الثقفي، كانوا يضربون بشدة على أيدي كل من يرون فيه خطرا على الدولة الأموية، غير عابئين البتة بالقبيلة التي ينتمي إليها. أضافة إلى ذلك أنه من المتفق عليه أن جابر بن زيد كان أكثر علما وأقوى حجة من عبد الله بن إباض. هذا فضلا عن أن جابرًا كان من الأزد الذين لا يستهان بقوتهم في البصرة(٢).

---

(١) انظر: الأصول التاريخية للجماعة الإباضية، عوض خليفات ص: ١٣.

(٢) نشاة الحركة الإباضية في البصرة ومناقشة دعوى تأسيس جابر بن زيد وعلاقتها بالخوارج، أ. د. محمد عبد الفتاح عليان والكلام السابق مستفاد منه من ص: (٢-٦)، وقد رد على ما ذكره عوض خليفات في كتابه الأصول التاريخية للفرقة الإباضية من نسبة الإباضية لجابر بن زيد، كما فند في ص: ١٠٠ وما بعدها دعوى الشماخي والرقيشي، وهما من مؤرخي =

٤- أصول الاعتقاد عند الإباضية:

يرى الإباضية أن أصول الاعتقاد التي وقع فيها الاختلاف تسعة عدها الشماخي في أصول الديانات بقوله: وإنما جاء اختلاف الناس من قبل تسعة أصول وهي التوحيد، والعدل، والقدر، والولاية والعداوة، والأمر والنهي، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، وأن لا منزلة بين المنزلتين، والأسماء والأحكام(١).

ويطول بنا المقام في شرح هذه الأصول ويخرج بنا عن مقصود البحث غير أني أتعرض بإيجاز للتعريف بهذه الأصول:

الأصل الأول: التوحيد:

وهو الأصل الأول من الأصول التي اتفق عليها الإباضية، و من أهم الأصول التي لا يسع الناس جهله(٢) ويعرفه عمر التلاتي في شرحه على أصول الديانات للشماخي بقوله: التوحيد أي إفراد الله تعالى في ذاته،

= الإباضية نسبة المذهب إلى جابر بن زيد، كما فند في ص: ١٦١ وما بعدها دعوى الإباضية عدم انتسابهم إلى الخوارج.

(١) شرح عمر التلاتي على أصول الديانات ص: ٧٩ وما بعدها، وانظر: الجامع الصغير، محمد اطفيش (١/ ٩٠)، معالم الدين الثميني المصعبي (٢/ ٢٣٦- ٢٣٩)، أصول الدين تبغورين (ص: ٥٠ وما بعدها)، وانظر أيضا: تمهيد قواعد الإيمان سعيد بن خلفان ج١، ج٢، بيان الشرع، محمد بن إبراهيم الكندي (٢/ ٤٥).

(٢) انظر: كتاب الوضع، الجناوني ص: ٣٠، ، تلقين الصبيان ما يلزم الإنسان، السالمي، ص: ٩، كتاب الضياء، الصحاري (٢/ ٢٧٣).

وصفاته، وأفعاله، وأقواله، وأحكامه، وعبادته، وسائر كمالاته التي لا نهاية لها"[1].

ويرى الإباضية أن أسماء الله عز وجل هي عين ذاته، وأنه لا توجد له سبحانه صفة زائدة على الذات كما هو مذهب المعتزلة، يقول عمر التلاتي: وندين بأنَّ أسماء الله تعالى أي المعاني الدالة عليها نحو لفظ الله والعالم والقادر والمريد هي الذات العليا الواجبة الوجود بذاتها[2]، ولا حاجة فيه إلى ثبوت صفة قديمة قائمة به زائدة عليه مقتضية لصحة العلم به[3]؛ ويستدلون على نفي وجود صفات زائدة على الذات بأدلة المعتزلة الذين يرون أن إثبات صفات لله عز وجل إما أن تكون حادثة فيكون محلا للحوادث، أو قديمة فيؤدي ذلك إلى تعدد القدماء[4]

وإذا كان المتكلمون يقسمون الصفات إلى صفات ذاتية وصفات

(١) شرح عمر التلاتي على أصول الديانات ص: ٨٢. وانظر: معالم الدين، الثميني المصعبي (١/ ١٥٧)، قاموس الشريعة (٤/ ١٧)، جوهر النظام في علمي الأديان والأحكام: نور الدين السالمي (١/ ٨)، مشارق الأنوار، السالمي (١/ ٣٠٠)، الجامع الصغير، محمد اطفيش (١/ ٩٠)، مكنون الخزائن وعيون المعادن، موسى بن عيسى البشري، (١/ ١٤٦).

(٢) شرح عمر التلاتي على أصول الديانات ص: ٨٨. وانظر: معالم الدين الثميني المصعبي (١/ ٢٣٦)، كتاب الضياء الصحاري (٢/ ٥).

(٣) مشارق الأنوار، السالمي (١/ ٣٥٥).

(٤) تمهيد قواعد الإيمان، سعيد بن خلفان (١/ ١٩٦)، وانظر: نثار الجواهر، الرواجي (١/ ٢٣).

فعليه، فالإباضية يوافقون المعتزلة في أن المراد بالصفات الذاتية نفي أضدادها، والمراد بالصفات الفعلية معاني المصادر التي اشتقت منها الأفعال والصفات.

يقول عمر التلاتي مبينًا هذا المعنى: "فالصفات عندنا أمور اعتبارية لا وجود لها في ذاتها ولا في ذاته تعالى، مقصود بوصفه تعالى بها نفي أضدادها عنه تعالى، فالمقصود بوصفه بالحياة نفي الموت عنه، وبالعلم نفي الجهل عنه، وبالقدرة نفي العجز عنه، وبالإرادة نفي الإكراه عنه، وبالسمع نفي الصمم، وبالبصر نفي العمى، وهذا كله في صفات الذات، وأما صفات الأفعال فهي عندنا معاني المصادر الواقع اشتقاق الأفعال والصفات منها، كإيجاد الحياة الذي هو معناه لفظ أحيا المشتق منه أحيا ويحيى، وإيجاد الخلق الذي هو معنى لفظ خلق المشتق منه خلق يخلق ومخلوق وهكذا[(١)].

وبناء على ذلك فإن الإباضية يتأولون ما ورد في القرآن والسنة من الصفات الخبرية كالاستواء والوجه والعين واليد والنزول والمجيء والإتيان وغيرها. ففي قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [سورة طه الآية: ٥] يذكر الربيع بن حبيب في مسنده أن معناها اِرْتَفَعَ

(١) شرح عمر التلاتي على أصول الديانات ص: ٩٠، ٩١.وانظر الجامع الصغير، محمد اطفيش (١/ ٩٠-٩١)، معالم الدين، الثميني المصعبي (٢/ ٢٣٦)، (١/ ١٥٧) وما بعدها.

ذِكْرُهُ وَثَنَاؤُهُ عَلَى خَلْقِهِ أو اسْتَوَى أَمْرُهُ وَقُدْرَتُهُ فَوْقَ بَرِيَّتِهِ[1]؛ ويذكر في معنى قوله تعالى﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ **[سورة المائدة الآية: ٦٤]**، أَيْ بَلْ رِزْقُهُ مَبْسُوطٌ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ[2]، ويذكر في معنى قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ **[سورة ص الآية: ٢٥]** أَيْ بِقُدْرَتِي وَصُنْعِي[3]. وهكذا في بقية الصفات الخبرية متابعة لمذهب المعتزلة والأشاعرة[4]

كما وافق الإباضية المعتزلة في القول بعدم جواز رؤية الله في الدنيا والآخرة، ويتأولون نصوص القرآن والسنة الواردة في ذلك[5] يقول عمر التلاتي: وندين بأن الله تعالى لا يرى أي لا يدرك بحاسة البصروية التي هي العين في الدنيا، وبأنه لا يرى في الآخرة[6]؛ كما يوافقون المعتزلة في

(١) مسند الربيع (١/ ٢٣٨، ٢٣٩). وانظر شرح عمر التلاتي على أصول الديانات ص: ٨٥، معالم الدين الثميني المصعبي (٢/ ١٩١)

(٢) مسند الربيع، حبيب بن الربيع (١/ ٢٣٥)

(٣) مسند الربيع (١/ ٢٤١)، وانظر: الإباضية تاريخ ومنهج، زكريا المحرمي ص: ٤٠، كتاب الضياء، الصحاري (٢/ ١٠٠)، الجيطالي وآراؤه الكلاميه، باباوا عمر خضير، ص١٢٥.

(٤) انظر: مكنون الخزائن وعيون المعادن، موسى بن عيسى البشري ١/ ١٧٤ –١٧٧.

(٥) انظر: مسند الربيع (١/ ٢٣٧)

(٦) شرح عمر التلاتي على أصول الديانات ص: ٨٤. وانظر: معالم الدين، الثميني المصعبي (٢/ ٢٩)، : الإباضية تاريخ ومنهج، زكريا المحرمي ص: ٣٥ –٣٧، تمهيد قواعد الإيمان، سعيد بن خلفان (١/٤٧٦)، : مشارق الأنوار، السالمي (١/ ٣٦٢)، كتاب الضياء، الصحاري (٢/١٠٦، ١١٣).

أنه تعالى في كل مكان ويقولون: " نعبد الله بأنه تعالى كائن في كل مكان، وأن كونه فيه بالحفظ من الآفات، وبالقدرة أي التمكن من إيجاده وأعدامه، وفعل ما يشاء فيه"(١)؛ كما يوافقون المعتزلة في القول بخلق القرآن: قال سالم بن حمد الحارثي الإباضي في العقود الفضية: " إن القول بخلق القرآن هو قول المحققين من الإباضية"(٢).

الأصل الثاني: العدل:

وهو الأصل الثاني من أصول الدّين الذي أجمعت عليها الإباضية، ومعنى أنّ الله عدل، أنّه لا يجور في حكم، ولا يظلم النّاس في فعل، وأنّه متصرّف في ملكه، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، وقد خالفوا المعتزلة في قولهم بوجوب صدور الفعل من الله عز وجل على وجه

---

(١) شرح عمر التلاتي على أصول الديانات ص: ٨٦. وانظر: معالم الدين، الثميني المصعبي (٢/ ٢٣٥)، الجيطالي وآراؤه الكلاميه، باباوا عمر خضير، ص١٣٣- ١٤٦، الحق الدمغ، أحمد الخليلي ص٢٥ وما بعدها فقد عرض فيه الشيخ أحمد الخليل مفتي عمان بالتفصيل لمذهبهم في نفي رؤية الله عز وجل في الدنيا والآخرة.

(٢) العقود الفضية، سالم الحارثي ص: ٢٨٧، وانظر شرح عمر التلاتي على أصول الديانات ص: ١٠٣، ١٠٤، الموجز في تحصيل السؤال وتلخيص المقال في الرد على أهل الخلاف، أبو عمار عبد الكافي (٢/ ١٣٢-١٣٧)، البعد الحضاري للعقيدة الإباضية، فرحات الجعبيري ص: ١٨٦، جوهر النظام في علمي الأديان والأحكام، نور الدين السالمي (١/ ١٦)، تمهيد قواعد الإيمان، سعيد بن خلفان (٢/ ٨)، العدل والإنصاف، الورجلاني ص: ١٠٨، مكنون الخزائن وعيون المعادن، موسى بن عيسى البشري(١/ ١٤١).

المصلحة[1].

الأصل الثالث: القـدر:

وقيل القضاء والقدر ويفرقون بينهما بأن القدر وجود الأشياء مفصلة في الخارج، والقضاء وجودها مجملة في اللوح المحفوظ أو في علم الله[2]؛ وقد وافقوا الأشاعرة في مسألة أفعال العباد حيث قالوا بنظريّة الكسب، وملخصّها أنّه لا فاعل للأفعال إلاّ الله، وأنّه قدّر كلّ شيء قبل خلقه، ويقترن خلق الله لأفعال الإنسان بكسبه فالأفعال مخلوقة من الله، مكسوبة من العبد[3]

يقول عمر التلاتي: فقولنا في القدر كقول الأشاعرة أن القدر إيجاد الله تعالى الأشياء على قدر مخصوص وتقدير معين في ذواتها وأحوالها طبق ما سبق به العلم، والقضاء عندهم إرادة الله الأزلية المتعلقة بالأشياء على ما هي عليه فيما لا يزل[4].

---

(١) انظر: الجامع الصغير، محمد اطفيش (١/ ٩١)

(٢) الجامع الصغير، محمد اطفيش (١/ ٩٤). وانظر: شرح عمر التلاتي على أصول الديانات ص: ٩٩.

(٣) انظر: شرح عمر التلاتي على أصول الديانات ص: ٩٢، ٩٣، الجامع الصغير، محمد اطفيش (١/ ٩١-٩٢)، أصول الدين، تبغورين (٧١، ٧٢)، مشارق الأنوار، السالمي (٢/ ١٦٧) كتاب الضياء، الصحاري (٢/ ١٣٣).

(٤) شرح عمر التلاتي على أصول الديانات ص: ١٠٠. الجامع الصغير، محمد اطفيش (١/ ٩٣). مكنون الخزائن وعيون المعادن، موسى بن عيسى البشري، ١/ ١٧٨ – ١٨٩

كما وافقوا الأشاعرة والماتريدية وأهل السنة والجماعة في أن الله خالق أفعال العباد، يقول عمر التلاتي: وندين بأن الله خالق أفعال العباد، وسكنات أبدان العباد، ومحدثها بعد عدمها وقاصدا إيجادها خلافا للمعتزلة القائلين بخلق أفعالهم قال الله تعالى: ﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [سورة الصافات الآية: ٩٦][١]..

الأصل الرابع: الولاية والعداوة:

يرى الإباضية وجوب موالاة المسلمين الطائعين التاركين للمعاصي جملة، والبراءة من الكافرين جملة، والولاية والبراءة ممن ذكر في القرآن أو السنة تفصيلا، والبراءة من أصحاب المعاصي والمصرين على الكبائر، كما يتبرؤون من المخالفين لهم في عقائدهم وأفعالهم[٢]، وسيأتي بيان وتفصيل لهذا الأصل.

(١) شرح عمر التلاتي على أصول الديانات ص: ١٠٢. وانظر الجامع الصغير، محمد اطفيش (١/ ٩٥-٩٦)، وانظر معالم الدين، الثميني المصعبي (١/ ٢٧٠)، مشارق الأنوار، السالمي (٢/ ١٧٣)، كتاب الضياء، الصحاري (٢/ ١٥٧)، ، للجيطالي قناطر الخيرات (١/ ٣٢٥).

(٢) انظر شرح عمر التلاتي على أصول الديانات ص: ١٠٤. - ١٠٩، الجامع الصغير، محمد اطفيش (١/ ٩٩-١٠٠)، محمد بن إبراهيم الكندي، بيان الشرع (٣/ ٣١٥)، الذهب الخالص، محمد اطفيش ص٣٢، الجامع المفيد، محمد سعيد الكدمي (١/ ٢٠)، الاستقامة، محمد سعيد الكدمي (١/ ٢٥)، مشارق الأنوار، السالمي (٢/ ٢٠٧)

الأصل الخامس: الأمر والنهي

ويقصدون به وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على حسب الطاقة، ويستدلون بذلك على وجوب نصب الإمام العادل، ويعدونه من تمام الأمر والنهي(١).

الأصل السادس: الوعد والوعيد:

وقد وافقوا المعتزلة جملة في هذا الأصل ويعنون به أن الله صادق في وعده ووعيده، وأنه لا يتخلف وعده ولا وعيده، ومن ثم قالوا بأن من دخل النار بذنب لا يخرج منها أبدا، وأنكروا شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر(٢) وسيأتي مزيد بيان لهذا الأصل حيث أنه مبني على قضية الإيمان.

الأصل السابع: المنزلة بين المنزلتين:

ويقصدون بها منزلة النفاق بين منزلة الإيمان والشرك، والأصل في النفاق عندهم النفاق العملي، وهو مخالفة الفعل للقول، ويصفون بذلك مرتكب الكبيرة والذي يسمونه منافقا فاسقا كافرا كفر نعمة(٣)؛ جاء

(١) شرح عمر التلاتي على أصول الديانات ص: ١١٢. وانظر الجامع الصغير، محمد اطفيش (١/ ٩٩-١٠٠)، كتاب الضياء الصحاري (٢/ ٢٣٨). مكنون الخزائن وعيون المعادن، موسى بن عيسى البشري(١/ ٢٣٣).

(٢) وانظر شرح عمر التلاتي على أصول الديانات ص: ١١٤- ١١٥، الجامع الصغير، محمد اطفيش (١/ ١٠١-١٠٢).

(٣) انظر: قناطر الخيرات للجيطالي (١/ ٣٦٤-٣٦٥)، الإباضية بين الفرق الإسلامية، علي =

كتاب في بيان الشرع لمحمد بن إبراهيم الكندي: "وكذلك فساق أهل الصلاة عندنا، لسنا نقول: إنهم مشركون، ولا نقول إنهم مؤمنون، فهذا القول هو المنزلة بين المنزلتين[١]، وسيأتي مزيد بيان لهذا الأصل حيث إنه مبني على قضية الإيمان.

الأصل الثامن: لا منزلة بين المنزلتين:

ويقصدون بذلك أنه لا خصلة بين خصلتي التوحيد والشرك[٢] وقيل لا خصلة بين الإيمان والكفر[٣]. وهم بذلك يدخلون أصحاب الكبائر في التوحيد على القول الأول؛ لما معهم من أصل التوحيد، ويدخلونهم في الكفر على القول الثاني لما أخلوا به من العمل[٤].

الأصل التاسع: الأسماء والأحكام:

ومعناه عندهم أن الأسماء أي الألفاظ التي تطلق على العباد، ويخاطبون بها كالمؤمنين، والكافرين، والمنافقين، والمشركين، تابعة

= ابن معمر ص: ١٨١، شرح عمر التلاتي على أصول الديانات ص: ١١٧، الجامع الصغير، محمد اطفيش (١/ ١٠٢).

(١) بيان الشرع، محمد بن إبراهيم الكندي (٢/ ٤٥).

(٢) شرح عمر التلاتي على أصول الديانات ص: ١١٩. معالم الدين، الثميني المصعبي (٢/ ٢٣٨).

(٣) انظر الجامع الصغير، محمد اطفيش (١/ ١٠٢-١٠٣).

(٤) شرح عمر التلاتي على أصول الديانات ص: ١٢٢- ١٢٤.

للأحكام المحكوم بها عليهم[1]، وسيأتي ذكر هذه الأسماء والأحكام المرتبطة بها ومناقشتها مفصلا في ثنايا هذا البحث.

* * *

(١) أصول الديانات ضمن شرح عمر التلاتي، الشماخي ص: ١٢٦، ١٢٧. وانظر الجامع الصغير، محمد اطفيش (١/ ١٠٣-١٠٤)، العدل والإنصاف، الورجلاني ص: ١٠٥.

المبحث الأول
حقيقة الإيمان عند الإباضية

المطلب الأول
تعريف الإيمان عند الإباضية

١- مذهب الإباضية في تعريف الإيمان:

عرف الإباضية الإيمان بأنه "قول وعمل ونية"، أو "قول وعمل واعتقاد" وجعلوا جميع الواجبات من الأقوال والأفعال والاعتقادات شرطًا في صحة الإيمان، فمن أخلَّ بشيء من الواجبات خرج من الإيمان، ولحق بضده من الكفر.

يقول خميس بن سعيد الرستاقي مبينًا هذا المعنى: "إن الإيمان ثلاثة مقامات:

أحدها: انطواء القلوب وضمير النفوس على اعتقاد التوحيد لغة وشرعًا..

المقامة الثانية: الإقرار باللسان نطقًا، والإعراب عن الضمير وقفًا، وقبوله تخفيفًا وصدقًا...

المقامة الثالثة: العمل بالأركان وتحقيقه بالأفعال شرعا وسمعا"[١].

(١) منهج الطالبين وبلاغ الراغبين، خميس بن سعيد الرستاقي (١/ ٥٦٦، ٥٦٧)، وانظر: =

وهذا نفس ما يقرره أبو سعيد الكدمي في المعتبر بقوله: "الإيمان قول وعمل ونية.. إيمانه بالقول إيمان، والعمل بالطاعة الواجبة إيمان، وترك العمل بالطاعة اللازمة كفر؛ لأنه إذا كان عمله إيمانًا، كان تركه للإيمان كفرًا، وكذلك ركوب المعاصي كفر، وتركها إيمان"[١]؛ ويقول أبو الحسن البسيوي مؤكدًا هذا المعنى: "الإيمان هو التصديق بالطاعة والعمل بها، فمن ترك شيئًا من ذلك، أو ركب ما حرم الله عليه، أو ترك ما أوجب الله عليه خرج من الإيمان، ولحق بضده، فافهم ذلك إن شاء الله؛ لأنَّ ضد الإيمان هو الكفر"[٢].

وهذا التعريف للإيمان محل إجماع من الإباضية لم يخالف فيه أحدٌ من علمائها[٣]، وهم يتفقون في ذلك مع المعتزلة الذي يرون أنَّ الألفاظ الشرعية منقولة من مسمياتها اللغوية إلى حقائق شرعية من

= العدل والإنصاف، الورجلاني ص: ١٠٥، البعد الحضاري للعقيدة الإباضية فرحات الجعبيري ص: ٦٢، ٦٣، معارج الآمال على مدارج الكمال، عبد الله بن حميد السالمي، (١/ ١٧٨).

(١) المعتبر، أبو سعيد الكدمي (١/ ١٢٤، ١٢٥) وانظر أيضا: معارج الآمال، عبد الله بن حميد السالمي (١/ ١٧٤).

(٢) جامع أبي الحسن البسيوي، أبو الحسن البسيوي (١/ ٢٣٥)

(٣) انظر: شرح عمر التلاتي على أصول الديانات ص: ١٢١، البعد الحضاري للعقيدة الإباضية، فرحات الجعبيري ص: ٦٢، ٦٣، ٦٦.

وضع الشارع(١).

وهذا ما قرره عبد الله بن حميد السالمي بقوله: "اعلم أنَّ للإيمان والإسلام في الشرع استعمالًا غير الاستعمال اللغوي، وذلك أنَّ الشرع نقلها عن معناهما اللغوي فاستعملهما مترادفين في مطلق الواجب، كان ذلك الواجب تصديقًا باللسان فقط، أو تصديقًا بالجنان مع قول اللسان، أو كان معهما عمل لازم إتيانه، فمن أدى جميع ما وجب عليه كان مؤمنًا مسلمًا عندنا"(٢).

فمن ترك ركنًا من أركن الإيمان الثلاثة بأن فعل شيئًا من المحرمات، أو ترك شيئًا من الواجبات، خرج من الإيمان، ولا يسمى مؤمنًا عندهم، بل يسمى فاسقًا، أو منافقًا، أو عاصيًا، أو كافرًا، ويرون أنَّ كفره كفر نعمة، لا يمنع من إجراء أحكام المسلمين عليه في الدنيا، غير أنَّه إن مات من غير توبة لحق بالكافرين الأصليين في الخلود في النار، وعدم الخروج منها، وسيأتي بيان ذلك في المبحث الثاني.

يقول السالمي: "ومن أخل بشيء من الواجبات لا يسمى مؤمنًا مسلمًا عندنا، بل يخصُ باسم المنافق والفاسق والعاصي والكافر ونحو

(١) انظر: البحر المحيط، أبو حيان (٢/ ١٦٢)، المعتمد، أبو الحسين البصري (١/ ٢٣، ٢٤).

(٢) مشارق أنوار العقول، عبد الله بن حميد السالمي (٢/ ١٩٧).

ذلك"[1]؛ ويقول في موضع آخر: ".. إن الإيمان عندنا فعل الواجبات فالكفر مقابله، أي فالكفر هو ترك شيء من الواجبات، أو فعل شيء من المحرمات من الكبائر"[2]؛ وهذا أيضا محل اتفاق بين الإباضية لم يخالف فيه أحدٌ من علمائهم[3].

وقد جعل الإباضية مرتكب الكبيرة في منزلة بين منزلتي الإيمان والشرك، وجعلوا ذلك أصلا من الأصول التي اتفقوا عليها.

قال الشماخي في أصول الديانات: "وندين بالمنزلة بين المنزلتين، ولا منزلة بين المنزلتين[4]؛ ويقصدون بالمنزلة بين المنزلتين منزلة النفاق بين منزلة الإيمان والشرك، وصاحبها يسمى منافقًا أو فاسقًا أو كافرًا كفر نعمة.

قال علي بن معمر الإباضي: "وهذا الصنف من الناس داخلٌ مع المسلمين في جميع المعاملات والأحكام الدنيوية، كما كانت سيرة

(١) السابق (٢/ ١٩٧).

(٢) السابق(٢/ ٣٠٤).

(٣) انظر: شرح عمر التلاتي على أصول الديانات ص: ١٢٧، البعد الحضاري للعقيدة الإباضية، فرحات الجعبيري ص: ٦٢، ٦٣، ٦٦، معالم الدين، الثميني المصعبي (٢/ ٢٠٠)، دراسات إسلامية في الأصول الإباضية ص٩٣، عمان عبر التاريخ (٢/ ٢٥٦)، الإباضية بين الفرق الإسلامية، علي بن معمر الإباضي ص: ٢٩٨، الإباضية تاريخ ومنهج، زكريا المحرمي، ص: ٤١.

(٤) انظر: شرح عمر التلاتي على أصول الديانات ص: ١٢٧.

الرسول ﷺ مع المنافقين ومع مرتكبي الكبائر(كفار النعمة)، وهذا معنى قولهم ندين بالمنزلة بين المنزلتين"[١].

أما العبارة الثانية أن "لا منزلة بين المنزلتين" فيقصدون أنه لا خصلة بين التوحيد والشرك، أي بين الأقوال والأفعال المسماة بالنفاق، والأقوال والأفعال المسماة بالإيمان، وبين الأقوال والأفعال المسماة بالشرك، أي لا خصلة بين التوحيد الموجود مع الإيمان والنفاق، وبين الشرك، أي الأقوال والأفعال المسماة بالشرك[٢].

يقول عمر التلاتي: " ومعنى كون النفاق بين الإيمان والشرك أنه ليس واحدًا منهما، وأنه أخذ بكل واحد منهما طرفًا؛ إذ فيه التوحيد، وهو من الإيمان، وفيه مطلق العصيان الموجود في الشرك"[٣].

وقال بعض الإباضية: إن معنى لا منزلة بين المنزلتين، أي لا منزلة بين الإيمان والكفر[٤]، والكفر يشمل الكفر المخرج من الملة، وكفر النعمة، فيدخل فيه أصحاب المعاصي والكبائر.

والحق أنه لا تعارض بين المعنيين فمآلهما إلى معنى واحد؛ ومن

(١) الإباضية بين الفرق الإسلامية، علي بن معمر الإباضي، ص: ١٨١، وانظر أيضًا: شرح أصول الديانات، عمر التلاتي ص: ٨٠، معالم الدين، الثميني المصعبي (٢/ ١٠٤).

(٢): شرح أصول الديانات، عمر التلاتي ص: ٨٠.

(٣) شرح أصول الديانات، عمر التلاتي ص: ١١٧، ١١٨.

(٤) انظر الجامع الصغير، محمد اطفيش (١/ ١٠٣-١٠٤). الإباضية بين الفرق الإسلامية، علي بن معمر، ص: ١٨١.

ثم فالناس عند الإباضية - على حد قول علي بن معمر- قسمان: مسلمون ومشركون؛ المسلمون هم الذين أقروا بكلمة التوحيد، وهم قسمان: "قسم وفَّى بما عليه لله قولًا وعملًا واعتقادًا. وقسم خان في بعض ذلك؛ فالأولون هم المؤمنون، والآخرون هم المنافقون أو كفار النعمة أو الفساق أو العصاة، وهؤلاء جميعًا تنطبق عليهم أحكام واحدة في الدنيا، ويتساوون في الحقوق والواجبات، اللهمَّ إِلاَّ الاستغفار، فإنه حق للمؤمنين؛ أمَّا المشركون فهم غير المسلمين، سواء عبدوا الأصنام، أو عبدوا الطبيعة، أو لم يعبدوا شيئًا، أو كانوا أهل كتاب فتمسكوا بدينهم الباطل، ولم يؤمنوا بالإسلام، وهؤلاء كلّهم تنطبق عليهم أحكام الشرك"(١).

ومن خلال العرض السابق يمكن تحديد مفهوم الإيمان عند الإباضية في النقاط التالية:

أولًا: إن الإيمان قول وعمل واعتقاد وأنه يشمل جميع الواجبات.

ثانيًا: من أخل بشيء من الواجبات كان فاسقًا أو عاصيًا أو منافقًا أو كافرًا كفر نعمه.

ثالثًا: جعل الإباضية مرتبة النفاق أو كفر النعمة بين الإيمان والشرك.

رابعًا: منع الإباضية وجود مرتبة بين التوحيد والشرك.

(١) الإباضية بين الفرق الإسلامية، علي بن معمر الإباضي ص: ١٨١.

٢- مذهب المعتزلة وأهل السنة والجماعة في الإيمان:

جدير بالذكر أن الإباضية لم ينفردوا بتعريفهم للإيمان بأنَّه قول وعمل واعتقاد، بل وافقهم عليه سائر الخوارج(١) والمعتزلة.

يقول القاضي عبد الجبار مبينًا مذهب المعتزلة في الإيمان: "وجملة ذلك أن الإيمان عند أبي علي وأبي هاشم(٢) عبارة عن أداء الطاعات، الفرائض دون النوافل، واجتناب المقبحات، وهو الصحيح من المذهب"(٣)

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال/ ٢] يقول القاضي عبد الجبار: " إن هذه الآية تدل على أن الإيمان ليس هو القول باللسان، أو اعتقاد القلب على ما ذهب المخالف

(١) كما نقل ذلك عنهم المصنفون في الملل والنحل؛ إذ تخلو المكتبة الإسلامية من كتابات أصيلة لهم سوى كتب الإباضية، انظر: مقالات الإسلاميين، الأشعري (١/ ١٨٩)، التبصير في الدين، الاسفرائيني ص: ٤٥

(٢) أبو علي: محمد بن عبد الوهاب بن سلام بن يزيد بن أبي السكن الجبائي رأس المعتزلة وكبيرهم وانتهت إليه رياستهم. أخذ عَن أبي يعقوب الشحام، وَغيره. ولد سنة خمس وثلاثين ومئين، ومات في شعبان سنة ثلاث وثلاث مائة، من أشهر تلاميذه ابنه أبو هاشم هو: عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب الجبائي ولد سنة سبع وسبعين ومئتين، مات ببغداد في سنة إحدى وعشرين وثلاث مائة انظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي(١١/ ٥٦)، الأنساب، السمعاني (٣/ ١٨٧)، تاريخ الإسلام، الذهبي (٧/ ٤٤٤).

(٣) شرح الأصول الخمسة، عبد الجبار الهمداني ص: ٧٠٧

إليه، ولكنه كل واجب وطاعة؛ لأنه تعالى ذكر في صفة المؤمنين ما يختص بالقلب وما يختص بالجوارح؛ لما اشترك الكل في أنه من الطاعات والفرائض(١).

وذكر أحمد بن يحيى المرتضى في كتابه طبقات المعتزلة إجماعهم على هذا المعنى فقال: "أجمعت المعتزلة على أن الإيمان قول وعمل ومعرفة"(٢).

فهذا المنقول من مذهب المعتزلة يتفق مع ما ذكرناه من قول الإباضية في حقيقة الإيمان، وهو يتفق أيضًا من حيث الإجمال مع تعريف أهل السنة والجماعة للإيمان.

قال الآجري في الشريعة: "بَابُ الْقَوْلِ بِأَنَّ الْإِيمَانَ تَصْدِيقٌ بِالْقَلْبِ، وَإِقْرَارٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ لَا يَكُونُ مُؤْمِنًا، إِلَّا أَنْ تَجْتَمِعَ فِيهِ هَذِهِ الْخِصَالُ الثَّلَاثُ، ثم قال: "اعْمَلُوا رَحِمَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ أَنَّ الَّذِيَ عَلَيْهِ عُلَمَاءُ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ الْإِيمَانَ وَاجِبٌ عَلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ، وَهُوَ تَصْدِيقٌ بِالْقَلْبِ، وَإِقْرَارٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ، ثُمَّ اعْلَمُوا أَنَّهُ لَا تُجْزِئُ الْمَعْرِفَةُ بِالْقَلْبِ وَالتَّصْدِيق إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَعَهُ الْإِيمَانُ بِاللِّسَانِ نُطْقًا، وَلَا تُجْزِيءُ مَعْرِفَةٌ بِالْقَلْبِ، وَنُطْقٌ بِاللِّسَانِ، حَتَّى يَكُونَ عَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ، فَإِذَا كَمُلَتْ فِيهِ هَذِهِ الثَّلَاثُ الْخِصَالِ: كَانَ مُؤْمِنًا، دَلَّ عَلَى ذَلِكَ الْقُرْآنُ،

---

(١) متشابه القرآن، عبد الجبار الهمداني (١/ ٣١٢)

(٢) طبقات المعتزلة، أحمد بن يحيى المرتضى ص: ٨.

وَالسُّنَّةُ، وَقَوْلُ عُلَمَاءُ الْمُسْلِمِينَ[1].

وقد نقل ابن عبد البر في "التمهيد" الإجماع على ذلك فقال: "أجمع أهل الفقه والحديث على أنَّ الإيمان قول وعمل، ولا عمل إلا بنية، والإيمان عندهم يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، والطاعات كلها عندهم إيمان[2] وذكر أنَّ هذا مذهبُ الفقهاء من أهل الرأي والآثار بالحجاز والعراق والشام ومصر"[3].

وإذا كان ظاهر هذا القول في الإيمان، بأنه قول وعمل واعتقاد، يتفق مع قول المعتزلة والخوارج، إلا أنه يختلف تمامًا في حقيقته ومآله، إذ أنَّ المعتزلة والخوارج يعتبرون الإيمان كلا لا يتجزأ، وإن تركب من الأمور السالفة الذكر، لذلك قالوا بتخليد مرتكب الكبيرة في النار، وسلبه اسم الإيمان، وإطلاق الكفر عليه كما هو مذهب الخوارج، أو القول بأنَّه في منزلة بين المنزلتين كما هو مذهب المعتزلة، أما السلف فقد قالوا بتجزء الإيمان، فيمكن ذهاب بعضه، وبقاء بعضه الآخر، فيذهب بعض الإيمان بترك بعض الأعمال الواجبة، ما لم يكن مستحلا لتركها، وقد بين ابن منده ذلك بقوله: "وقال أهل الجماعة: الإيمان هو الطاعات كلها بالقلب واللسان وسائر الجوارح، غير أنَّ له أصلا وفرعًا، فأصله

(١) الشريعة، الآجري (٢/ ٦١١)

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبد البر (٩/ ٢٣٨).

(٣)السابق(٩/ ٢٤٣).

المعرفة بالله، والتصديق له، وبما جاء من عنده بالقلب واللسان مع الخضوع له، والحب له، والخوف منه، والتعظيم له مع ترك التكبر، والاستخفاف، والمعاندة، فإذا أتى بهذا الأصل فقد دخل في الإيمان، ولزمه اسمه وأحكامه، ولا يكون مستكملا له حتى يأتي بفرعه، وفرعه المفترض عليه أداء الفرائض واجتناب المحارم"(١).

٣- مذهب الأشاعرة والماتريدية في الإيمان:

وقد خالف الأشاعرة والماتريدية الإباضية وسائر الخوارج، والمعتزلة، وأهل السنة والجماعة، في تعريفهم للإيمان، فعرفوه بالتصديق على نحو ما جاء في اللغة(٢)، فأخرجوا العمل من مسمى الإيمان، وإن قالوا بوجوبه باعتباره ثمرة من ثمرات الإيمان.

قال الأشعري في اللمع: "إن قال قائل: ما الإيمان عندكم ؟ قيل له: هو التصديق بالله، وعلى ذلك إجماع أهل اللغة التي نزل بها القرآن. قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾ [إبراهيم: ٤] فلما كان الإيمان في اللغة التي أنزل الله تعالى بها القرآن هو التصديق، فوجب أن

(١) كتاب الإيمان، ابن منده (١/ ٣٣٢) وانظر: الإيمان بين السلف والمتكلمين د. أحمد بن عطية الغامدي ص: ٢٧، ٢٨.

(٢) وهذا مبني على قولهم إن الأصل في الحقائق والأسماء الشرعية المعنى اللغوي، وأن الشرع لم ينقل هذا المعنى اللغوي إلى غيره من المعاني.انظر: التقريب والإرشاد الصغير، الباقلاني ١/ ٣٨٧، إيضاح المحصول من برهان الأصول، المازري ص: ١٥٤. الحقيقة الشرعية في تفسير القرآن الكريم والسنة النبوية، د.محمد عمر بازمول ص: ١٤.

يكون الإيمان هو ما كان عند أهل اللغة إيمانًا وهو التصديق.."[1].

وقال الجويني في الإرشاد إلى قواطع الأدلة "والمرضي عندنا أن حقيقة الإيمان التصديق بالله تعالى، فالمؤمن بالله من صدقه.. الدليل على أن الإيمان هو التصديق صريح اللغة وأصل العربية"[2].

وما ذهب إليه الأشاعرة في تعريف الإيمان يتفق مع قول الماتريدية، وهو ما بينه النسفي في التمهيد بقوله: " الإيمان في اللغة عبارة عن التصديق.. ثم إن هذا المعنى اللغوي وهو التصديق بالقلب حقيقة الإيمان الواجب على العبد حقًا لله - تعالى - وهو أن يصدق الرسول ﷺ فيما جاء به من عند الله تعالى، فمن أتى بالتصديق، فهو مؤمن بينه وبين الله - تعالى- والإقرار يحتاج إليه؛ ليقف عليه الخلق فيجروا عليه أحكام الإسلام[3].

وإذا كان الإباضية، وسائر الخوارج، والمعتزلة، وأهل السنة والجماعة، وغيرهم من العلماء قد ذهبوا إلى أن الإيمان قول وعمل واعتقاد، إلا أنهم اختلفوا في النتائج المترتبة على هذا القول، على النحو الذي سنبينه بالتفصيل في المبحث الثاني.

---

(١) اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، أبو الحسن الأشعري ص١٢٣، وانظر: الملل والنحل، الشهرستاني (١/ ١٠١).

(٢) الإرشاد، الجويني ص: ٣٩٧، وانظر أيضًا: التمهيد، الباقلاني ص: ٣٤٦.

(٣) التمهيد لقواعد التوحيد، النسفي ص: ٣٧٧، ٣٧٨.

المطلب الثاني

زيادة الإيمان ونقصانه

يرتبط موضوع زيادة الإيمان ونقصانه ارتباطًا وثيقًا بتعريف الإيمان، فقد نظرت الفرق الإسلامية لهذه القضية انطلاقًا من فهمها لحقيقة الإيمان، على النحو الذي سنبينه من خلال عرض موقف الإباضية من هذا الموضوع.

١ - مذهب الإباضية في زيادة الإيمان ونقصانه:

والدارس لموقف الإباضية من زيادة الإيمان ونقصانه يقف على ثلاثة أقوال:

القول الأول: الإيمان يزيد ولا ينقص؛ لأنه إن نقص خرج صاحبه منه إلى ضده من الكفر.

القول الثاني: يجوز القول بزيادة الإيمان ونقصانه، بالنظر إلى زيادة التكاليف ونقصانها.

القول الثالث: الإيمان يزيد بزيادة العمل، ويضعف بالمعصية والجهل، ولا يقال ينقص.

أما عن القول الأول: فقد جاء في الجامع المفيد من أحكام أبي سعيد الكدمي: مسألة: وسئل عن إيمان المرء يزيد وينقص أم لا وكفره يزيد وينقص أم لا؟ قال: معي أنه قد قيل إيمانه يزيد، وليس ينقص، لأنه

إذا نقص إيمانه ذهب إيمانه"(١).

وهو ما ذهب إليه أبو الحسن البسيوي في جامعه يقول: "فإن قال: الإيمان يزيد وينقص؟ قيل له: قد اختلف الناس في زيادته، فأما نقصانه فلا نقص فيه، لأنه لو نقص من تصديقه شيء مما أمر به، وأقر به من الجملة لانتقض إيمانه، ولم يسم مؤمنًا، فأما زيادته فقد قال بعضهم: إن الإيمان يزيد ولا ينقص".

إلى أن يقول: "أما المؤمنون فيزدادون تصديقًا وإيمانًا بما أنزل، وأما الإيمان فلا يزداد، ألا ترى أن الإيمان غير المؤمن، فالمؤمن هو الذي يزداد، والإيمان ثابت لا زيادة فيه ولا نقصان، وبالله توفيقنا، فإن قال من أوجب نقصانه: أن من ركب الكبيرة، وقذف المحصنات، فقد نقص من الإيمان؟ قيل له: إن الإيمان لا ينقص، ولكن الفاسق قد خرج من الإيمان الذي صدق به نفسه"(٢).

أما القول الثاني: فمفاده أنه يجوز القول بزيادة الإيمان بمعنى زيادة التكاليف على بعض الناس دون بعض، ونقصان الإيمان بمعنى نقصان

(١) الجامع المفيد من أحكام أبي سعيد، أبو سعيد الكدمي (١/ ١٥)، وانظر: محمد بن إبراهيم الكندي، بيان الشرع (٢/ ٢٤٤)، البعد الحضاري للعقيدة الإباضية، فرحات الجعبيري (ص: ٦٦).

(٢) جامع أبي الحسن البسيوي (١/ ٢٣٧-٢٣٩) وانظر: جوهر النظام في علمي الأديان والأحكام، السالمي (١/ ١٨).

التكاليف على بعض الناس، كالمرأة مثلا عندما تحيض لا تصلي، فتكون ناقصة الإيمان، فإذا صلت زاد إيمانها، أما الإيمان في حد ذاته فلا يزيد ولا ينقص، وهذا القول لا يتعارض مع القول الأول.

يبين عبد الله بن حميد السالمي هذا المذهب بقوله: "... الإيمان الشرعي لا ينقص لكن يزيد؛ لأنه عندنا هو نفس فعل الواجبات فهي تزيد على المكلف ولا تنقص، بمعنى أنها إذا وجبت لا يصح تنقيص شيء منها، لا بمعنى أنه إذا وجبت على العبد لا يرفع، فإن سمي رفع بعض الواجبات عن بعض المكلفين نقصانًا في الإيمان فلا ضير، فإنه خلاف لفظي، وقد صرح حديث ذم النساء، بذلك في قوله - ﷺ: - "ناقصات عقل ودين"، وبين نقصان الدين بترك الصلاة شطر دهرها بسبب الحيض..، ويقول أيضًا: ونقصان الإيمان الذي نفاه أصحابنا، هو الإخلال بشيء من الواجبات لا رفع بعض المفترضات.."[(١)].

ويلخص مفتي السلطنة أحمد الخليلي مذهب الإباضية في زيادة الإيمان ونقصانه فيقول: "ذهب أصحابنا رحمهم الله إلى أن الإيمان يزيد ولا ينقص، وهذا المذهب إذا حمل على معناه الشرعي الذي يشمل الاعتقاد والقول والعمل تجلت صحة هذا المذهب من حيث إن أول ما يتعبد به الإنسان الاعتقاد، وإذا اعتقد ما لزمه اعتقاده، ولم يحضره فرض قولي أو عملي كان مؤمنًا كامل الإيمان، وإذا وجب عليه

(١) مشارق أنوار العقول، السالمي (٢/ ٢٠٥ - ٢٠٦).

شيء من الأقوال أو الأفعال وأداه كما وجب عليه ازداد إيمانه، وإذا أخل بهذا الواجب انهدم إيمانه كله"(١).

٢- مذهب المعتزلة والأشاعرة في زيادة الإيمان ونقصانه:

وهذا الرأي يتفق مع رأي المعتزلة، حيث أجازوا الزيادة والنقصان من جهة زيادة التكاليف على بعض الناس دون بعض، يقول القاضي عبد الجبار في تعليقه على قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال/ ٢]. "إنه يدل على أن الإيمان يزيد وينقص على ما نقوله، لأنه إذا كان عبارة عن هذه الأمور التي يختلف التعبد فيها على المكلفين، فيكون اللازم لبعضهم أكثر مما يلزم الغير، فتجب صحة الزيادة والنقصان، وإنما كان يمتنع ذلك لو كان الإيمان خصلة واحدة وهو القول باللسان، أو اعتقادات مخصوصة بالقلب"(٢)..

أما الأشاعرة والماتريدية فقد ذهبوا إلى أن الإيمان في ذاته لا يزيد ولا ينقص، وإن قيل بزيادته ونقصانه فباعتبارات أخر، وهو ما يتفق مع ما ذهب إليه الإباضية والمعتزلة، غير أنهم بنوا هذا الرأي على غير ما بناه عليه الخوارج والمعتزلة، فالخوارج والمعتزلة بنوا ذلك على أن الإيمان قول وعمل واعتقاد، وهو شيء واحد لا يتصور فيه النقصان، أما

(١) حاشية مشارق أنوار العقول، أحمد الخليلي (٢/ ٢٠٤).

(٢) متشابه القرآن، القاضي عبد الجبار (١/ ٣١٢).